نشاط المتاحف السورية

ثرواتنا الأثرية الجديدة :

كانت السنة (١٩٥٠) من أيمن السنوات على المتاحف السورية . إذ أن نشاط هذه المؤسسات كان شديداً خلالها . فقد انتهت إعادة تشييد قصر الحير في متحف دمشق ، وأقيم معرض سنوي للرسم اليدوي ، وعدة معارض مدرسية أخرى في جناح خاص أعددناه خصيصاً لهذه الغاية في هذا المتحف . وتأسس متحف الفنون والتقاليد الشعبية في قصر العظم ، ووضعت قضية تشييد متحف جديد في حلب بدلاً من المتحف القديم ، على بساط البحث بصورة جدية . إذ قرر مؤخراً المجلس البلدي في هذه المدينة ، أن يمنح مديرية الآثار العامة أرضا في حديقتها الجديدة الجميلة الواسعة تحقيقاً لهذا الغرض . كما أن النية متجهة في السويداء وتدمر إلى تبديل بنائي المتحفين اللذين فيهما ببناءين آخرين لائقين . ومديرية الآثار العامة تتوجه برجائها إلى السلطات المحلية في كل المدن السورية لمد يد المساعدة والسعي لإنشاء المتاحف والمساهمة في تعهدها والعناية بها . لما في ذلك من فوائد تعود بالدرجة الأولى على المدن نفسها ؛ من حيث ازدياد أهميتها وقصد السائحين لها ، ومساهمتها في ايضاح تاريخ البلاد وصيانة ثرواتها الأثرية ، وتثقيف مواطنيها وتوفير إلهيات ولذات عقلية لهم ، يكون من شأنها إنماء مواهبهم الفكرية وتقويم أحكامهم ، وإرهاف أحاسيسهم في كل ما يتعلق بتدرج الفنون والصناعات البشرية ، وتطور الحضارات ، وتقدير الجمال .

وقد زادت ثروات متاحفنا الحالية زيادة محسوسة خلال العام الفائت ، وتوفرت لديها من مصادر متعددة آثار قيمة جداً من جميع عصور التاريخ . وقد سجلناها في سجلاتنا الرسمية وأصبحت ملكا للشعب السوري . وإليكم وصفاً موجزاً لأهم هذه الآثار :

آ — آثار رأس شمرة ولوحاتها المسمارية :

ذكر المسيو كلود شيفر في تقريره المنشور في غير هذا الموضع نبذة كافية عن الآثار التي استخرجها من رأس شمرة خلال حفرياته في سنة ١٩٥٠ ، وسلمها إلى مديرية الآثار العامة. وقد كتب إلينا مؤخراً كتاباً يتعلق باللوحات التي عهد بقراءتها إلى المسيو شارل فيرولو. وهذا نص كتابه :

ألقى العالم في الخطوط المشهور المسيو شارل فيرولو ، بحثاً في مجمع الخطوط والآداب الافرنسي في التاسع والعشرين من شهر حزيران لسنة ١٩٥١ ، وإليكم خلاصة عنه :

قدم المسيو فيرولو حلّه للوحات المسمارية التي اكتشفها المسيو كلود شيفر في حفرياته الأخيرة خلال خريف عام (١٩٥٠) في رأس شمرة (أوغاريت القديمة) ، والتي يعود عهدها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد . ودرس خاصة أسماء المهن التي وجدت مذكورة في هذه اللوحات ضمن قوائم . وقال إن كل نقابة في هذه المدينة كانت خاضعة إلى ضريبة تدفعها عيناً من الفضة ، أو انها كانت مجبرة على تقديم أحد المحاربين (ضارب بالنبال) إلى الجيش .

كما أن هذه اللوحات تذكر اسم الربة (عنات) التي تحتل مكانة كبرى في قصائد رأس شمرة والتي يصادف اسمها أيضاً على شكل (عنتو) . ويظن أن ذلك بسبب اختلاط الأمر على بعض سكان أوغاريت الذين مزجوا بين الربة البابلية المدعوة بالاسم الثاني ، والتي هي زوج إله السماء (عانو) وبين الربة الكنعانية (عنات) إلهـة الينابيع . وقد امتزجت في القرن الرابع قبل الميلاد ، الربة (عنات) في قبرص مع الربة (أثينة) لتشابه اسميهما .

وأخيراً ذكر المسيو فيرولو أن الاله (أشمون) الذي سيتقمص فيما بعد بشخص (اسكلوبيوس — اسكولاب) كان معروفاً في رأس شمرة باسم (أزمون) . وهذا ما يدعو إلى نبذ جميع المشابهات التي وجدها بعضهم بينه وبين غيره من أسماء الآلهة الأخرى .

كلود شيفر .

ب — ختم رأس شمرة الحجري :

وتلقينا قبل أن ينتهي طبع هذه المجلة خبراً من العالم الدكتور كلود شيفر خبر عن الختم الحجري الذي وجده خلال حفرياته في رأس شمرة سنة ١٩٥٠ ، وهذا فحواه :

لقد تمكنت من فك رموز الختم الكبير المصنوع من حجر أزرق ، والذي وجدته السنة الماضية في رأس شمرة ، والمحفوظ حالياً في متحف دمشق . وتبين لي أنه ختم الملك الحثي (مورسيل) الذي عاش في القرن الرابع عشر قبل الميلاد . وأنا أتساءل كيف وصل هذا الختم إلى (أوغاريت) التي لم تظهر فيها أية آثار حثية ، والتي لم تضم أبداً إلى مملكة الحثيين . ولا ريب أن هذا الأثر يضع على بساط البحث قضية تاريخية غريبة . وبودي أن أتكلم عن هذا الأثر في مؤتمر المستشرقين الذي سيفتتح جلساته في استانبول في اليوم الخامس عشر من شهر ايلول لهذه السنة .

كلود شيفر .

م — تمثال صغير من البرونز من العهد الفنيقي .

وجد هذا التمثال في ضواحي حماة ، وكانت حيازته على أثر مفاوضات طويلة بين مديرية الآثار العامة وأحد تجار العاديات في مدينة حمص . ويبلغ ارتفاعه (٢٩،٥ سم) . وله في أسفله استطالة اسطوانية كان يثبت بواسطتها [١] . ويظن أنه من القرن الرابع عشر قبل الميلاد أي من العهد الفنيقي ، وأنه يمثل الآله (بعل) . وهو يشبه التماثيل التي اكتشفها العالم الأثرى (كلود شيفر) في راس شمرة ، ونشرها في مجلة سيريا سنة (١٩٢٩) وفي الجزء الثاني من كتابه (أوغاريتكا) .

ويرى هذا الآله في تمثالنا ماشياً . فتراه يقدم ساقه اليسرى عن ساقه اليمنى . وذراعاه مثنيان إلى صدره ويداه مقبوضتان كأنه يمسك بهما شيئاً لا يمكن تمييزه . وهما منقوبتان . ويلبس ثوباً قصيراً يقف فوق ركبتيه ، وفي وسطه نطاق عريض . ويلاحظ أن ساقيه طويلتان وضخمتان بالنسبة الى جسمه الدقيق النحيل . ووجهه مثلث الشكل . وله أنف كبير . وهو حليق . ويشير الى عينيه تجويفان عميقان . وعلى رأسه قلنسوة تستطيل من الخلف إلى الأعلى كأنها مروحة .

وحالته سيئة ، إذ أن البرونز المصنوع منه قد تأكسد كثيراً ، وأصبح سريع الانكسار . ونحن مهتمون باصلاحه ومعالجته .

س . ع .

---

(١) انظر صورة هذا الأثر في القسم الغربي من المجلة .

د — لوحان حجريان منحوتان من خلطان (كرد طاغ) .

كانت حيازة هذين اللوحين بفضل سهر مديرية آثار المنطقة الشمالية ، على تتبع أخبار الاكتشافات الأثرية التي تجري عن طريق الصدفة ، وبفضل نشاط المساعد الفني السيد صبحي الصواف ، وسعيه إلى إغناء ثروات متحف حلب . وقد تم نقل الأثرين الثمينين الى هذا المتحف ؛ وسمحنا للعالم الأستاذ (أرنست ويل) بدراستهما . وإليكم بحثه المختصر عنهما :

مصدر هذين اللوحين البازلتيين خلطان من وادي عفرين على بعد عشرين كيلو متراً من قرية تعرف باسم خلطان أيضا . ويمثل الوجهان الأماميان الأملسان فيهما رباً وربة . أما وجوههما الأخرى فهي غير مسواة ، ورأساهما مدوران . وارتفاع اللوح الأول الذي يمثل الرب متر ، وعرضه ستون سانتيمتراً ، وسمكه ستون سانتيمتراً أيضاً . وارتفاع اللوح الثاني الذي يمثل الربة متر أيضاً ، وعرضه خمسة وسبعون سانتيمتراً ، وسمكه أربعة وعشرون سانتيمتراً . ويلاحظ أن حجر البازلت الذي نحت منه اللوحان المذكوران مأخوذ من هذه المنطقة غير أنه لم يستعمل في النحت فيها إلا نادراً قبل زمن هذين الأثرين [1] .

والرب في اللوح الأول ملتفت الى اليمين ، ورأسه محاط بتجاعيد شعره الغزير ، الذي تنحدر منه ضفيرة على ظهره . وله لحية طويلة مربعة تخفي القسم السفلي من وجهه . وعلى رأسه قلنسوة مخروطية تظهر عليها قرون صغيرة من الجهتين . وهو يلبس درعاً ؛ له كمان يحفظان الذراعين ، وصفان من الأذيال . وساقاه عاريتان ، وقدماه منتعلتان الحذاء الاغريقي (الأندروميد) أو الحذاء الروماني (السكاليغا) . وفي جانبه الأيسر سيف ثقيل معلق في حزام جلدي يظهر على صدره . وهذا السيف في قرابه . وترى قبضته ونهايته وراء جسم الآله . ثم ان هذا الآله يحمل بيده اليمنى فأساً مزدوجة ، وبيده اليسرى صاعقة لها ثلاثة فروع .

والربة تقابل في اللوح الثاني الصورة المتقدمة . وشعرها الكثيف مجتمع في صرة وراء قذالها . وهي تلبس ثوباً معلقاً على كتفها بزرين كبيرين مستديرين وليس له كمان . وفوق هذا الثوب رداء يلتف طرف من أطرافه على كتفها وساعدها الأيسرين . ويمتد طرف آخر منه على وسطها ، ثم يسقط من على ساعدها الأيمن . ويدها هنا مخفية . ولا يظهر من قدمها اليسرى الا أخمصها من تحت ثوبها الطويل . ثم أنها تحمل بيدها اليسرى زهرة من زهرات الخشخاش .

---

(١) انظر صورتي هذين الأثرين مع البحث المتعلق بهما في القسم الغربي من المجله .

ولا ريب أن الفأس المزدوجة والصاعقة والدرع العسكري ، والقلنسوة المخروطية والضفيرة تجعلنا نرى في الرب المتقدم ، جوبيتر مدينة دوليشه [١] . ويلاحظ أن العلامتين الأخيرتين نادرتان في آثار العهد الروماني الاغريقي . وهما منحدرتان من التقاليد الفنية السورية الحثية القديمة . وكذلك فان القرون التي تشاهد على قلنسوة الآله علامة من علامات آلهة الشرق . وهذا الآله يشبه صورة الآله الذي عثر عليها في تل أحمر . أما الربة فهي ولا شك (جونون) رفيقة إله دوليشه . وقد حلت هنا زهرة الخشخاش محل المرآة التي اعتادت هذه الربة حملها . ويلاحظ عدم وجود الثور ، أو الوعل اللذين يقف عليهما عادة هذان الآلهان في بقية صورهما المعروفة .

وقد احتذى النحات في صورة جونون نموذجاً نسائياً شائعاً كثيراً في النحت اليوناني . وكذلك فانه جعل لصورة جوبيتر هيئته المعروفة في بقية الصور . وتنبئنا هذه التفاصيل مع الدرع والحذاء عن تاريخ هذين الأثرين . ويمكن القول انهما لا يرقيان الى عهد أقدم من العهد الهلنستي . غير أنه يمكن أن يكونا من العهد الروماني الأمبراطوري . وعلى وجه الاجمال فان نحتهما غير دقيق ، ويدل على أنه جرى على يد فنان محلي .

وأخيراً فان هذين الأثرين يكملان مجموعة من الآثار المكتشفة في سورية الشمالية والتي تمثل جوبيتر الدولشيني . ويظهر أن ديانته انتشرت كثيراً حتى بلغت هذه المنطقة . وقد تعرف المختصون بالآثار على معالم لمعبد في خلطان كان فيه هذان الأثران . ويتألف هذا المعبد من سور مربع مبني من الأحجار البيضاء التي نقشت على بعضها أحرف لم نتمكن من قراءتها .

ارنست ويل .

هـ — تماثيل برونزية عثر عليها في منطقة معمل الكونسروة في دمشق

بينما كان عمال شركة الكونسروة يحفرون لاقامة أسس لبناء جديد بالقرب من هذا المعمل ، عثروا على قبر قديم مبني من الحجر المنحوت . وفيه ثلاثة تماثيل برونزية صغيرة وسراج برونزي صغير . ولم يبلغ مديرية الآثار العامة هذا الخبر إلا فيما بعد . بعد أن أزيلت معالم القبر . وقد قدمت ادارة المعمل الأشياء الأثرية هدية الى متحف دمشق .

---

(١) ان هذه المدينة من مدن المقاطعة الشرقية من الأناضول التي كانت تدعى قديما (كوماجين) والتي هي في شمالي الجزيرة الحالية من سورية .

ومهما يكن فان مكان القبر يقع كما هو معلوم في شمالي شارع بغداد ، بالقرب من مقبرة الدحداح . مما يحملنا نفرض أن هذا المكان كان في الزمن اليوناني ـ الروماني مقبرة ، وأن المقبرة الاسلامية الحالية ربما كانت قد جعلت فوق المقبرة القديمة . وهذه الفرضية تحتاج الى إثبات .

أما الأشكال البرونزية التي قدمت الينا فانها جميلة ، ويبلغ عددها ثلاثة . وهي تمثل الآلهة فينوس ، وآدونيس ، وإيروس . ومنها أيضاً سراج برونزي صغير . وإليكم وصفها بايجاز :

١ — تمثال فينوس

يبلغ ارتفاعه (٢٢٫٣ سم) . ويمثل الربة واقفة على قاعدة اسطوانية مخرمة . وجسمها يدور قليلاً إلى اليسار ، ورأسها قليلاً الى اليمين . وثقلها مرتكز على ساقها اليمنى . أما ساقها اليسرى فهي متأخرة قليلاً الى الوراء ، وينشأ عن هذا الوضع انحناء جميل في خصرها .

وتقاطيع وجهها واضحة ، وعيناها محفورتان وتتوجهان بنظرتهما الى اليسار . وشعرها غزير ، ومصفف باتقان ، وتنحدر منه ذؤابتان ، إحداهما على كتفها الأيسر ، والثانية تمسكها بيدها اليمنى .

أما يدها اليسرى فانها تستر بها عورتها .

٢ — تمثال أدونيس

يبلغ ارتفاع هذا التمثال (٩٫٥ سم) . ويمثل الآلهة (أدونيس) السوري ، واقفاً في وضع متحرك . وكتفه الأيسر مكشوف ، أما كتفه الأيمن فيغطيه طرف معطفه الذي يمتد على ظهره أولاً ، ثم ينحدر على صدره حيث يجتمع تحت نطاق . وبعد ذلك يلتف حول ساقيه بشكل مستغرب .

ووجه (أدونيس) حليق ، وتقاطيعه جميلة ومرسومة جيداً . ورأسه مغطى بوشاح ، يظهر شعره الغزير من تحته ثم ينحدر على عنقه . وذراعه الأيمن مبسوط ويحمل صحناً مستديراً . وذراعه الأيمن يمسك شيئاً يتعذر تمييزه .

ويحيط بهذا التمثال الصغير غشاء أزرق غامق جميل جداً .

٣ — تمثال إيروس

ارتفاعه (٢و٤ سم) . وهو أقل جمالاً واتقاناً من التمثالين المتقدمين . ويمثل طفلاً (ايروس ؟) جالساً ، وباسطاً ساقه اليمنى الى الامام ، ومثنياً ساقه اليسرى التي يحمل عليها شيئاً مخروطياً يشبه عنقوداً من الأعناب . ورأسه ينحني قليلاً الى اليسار ويرتكز مباشرة على كتفيه . وتقاطيع وجهه ظاهرة باجمال .

س . ع .

و — تمثال صغير من البرونز للآله (هربوكرات) :

يبلغ ارتفاعه (٢و١٠ سم) . وقد وجده فلاح من بصرى في انقاض أحد بيوتها . ويرى فيه الآله واقفاً ومستنداً بذراعه الأيسر على مسند قائم الى جانبه ، ورافعاً اصبعه الى فمه . وأشكال جسمه ممتلئة ، وتقاطيع وجهه ظاهرة باجمال .

س . ع

ز — لوح حجري من البازلت يمثل الآله (ميترا) وهو يضحي الثور

بلغنا خبر وجود هذا اللوح الحجري في منطقة وعرة المسالك شمالي قرية سيع من جبل الدروز . فأرسلنا أحد المساعدين الفنيين ، فزار المكان ، ووجد أن اللوح منحوت في سفح منحدر تل طبيعي ، كما عثر بالقرب من هناك على حطام تاجين كورنثيين مزينين بأوراق عريضة . مما جعلنا نفكر أن معبداً للآله (ميترا) كان مقاماً في ذلك المكان . وهذا يحتاج الى تأييد . ونرجو في المستقبل ان تساعدنا الظروف على القيام بحفرية هناك .

ورأينا أن اللوح الحجري قد هشم بعض التهشيم ، فأردنا أن نصونه وننقله إلى متحف دمشق . ووجب لذلك انتزاعه من الصخر . غير أن هذه العملية ، ويالأسف جرت على غير ما نرغب ، فتحطم اللوح إلى عدة أجزاء . وأعدنا جمع هذه الأجزاء في متحف دمشق وعرضنا اللوح في الدهليز الذي يتقدم قاعة السويداء حيث جمعت كل الآثار البازلتية .

ويمثل هذا اللوح مشهد الآله (ميترا) وهو يضحي الثور . ولا يخفى إن ديانة هذا الآله فارسية الأصل ، وأنها قريبة من الديانة المازدائية ، وأنها انتشرت في كثير من جهات العالم القديم بين بلاد فارس وألمانيا الغربية ، ومنها سورية خلال القرون الميلادية الأولى . وقد عثر

من قبل في سورية على لوحين يمثلان هذا المشهد . أحدهما في معبد (ميترا) من دورا أوروبوس (صالحية الفرات)[١] والثاني من سيع نفسها[٢] . أما لوحنا الحالي فيبلغ ارتفاعه (١٫١٢ متراً وعرضه (١٫٠٦) . وعمق النحت فيه قليل ولا يتجاوز (٤٫٥ سانتيمترات) . وصنعته الفنية غير متقنة تماما . ويظن ان النحات الذي نحته لم يعبأ كثيراً باتقانه لوجوده في هذا المكان الجبلي النائي .

ويرى فيه الآله ميترا وهو فكر النور الصافي بوجهه الحليق ، وشعره الأجعد الذي تستره قلنسوة مخروطية الشكل ، وتشع منها أنوار شمسية . وهو مرتكز على ظهر الثور الذي يندفع بحركة شديدة إلى اليمين ، فيندفع معه أيضاً جسم الآله . وهو يمسك سكينا بيده اليمنى . ووجهه ممثل كله . وبطير وشاحه خلف رأسه ، فيقف على طرفه الغراب الذي ينقل اليه أمر آله السماء وكبير الآلهة (أهورا مازدا) بتضحية الثور . ويتعلق عقرب وأفعى وقد ارسلهما آله الشر (أهريمان) في عضو الحيوان التناسلي . وينسفح دمه الذي ستظهر منه جميع نباتات الأرض فياتي كلب ويلعقه

وإلى جانب الآله حاملا المشعلين ، وهما يرمزان إلى الصباح وإلى المساء . ويرى الأول حاملاً مشعله ، والثاني وقد نكسه إلى الأسفل . كما يرى في الطرفين العلويين من اللوح جذع الشمس وجذع القمر .

ح — فارس الرقة الخزفي

ودخل متحف دمشق في أواخر سنة ١٩٤٩ أثر منقطع النظير ، له شأن كبير في تاريخ الفن الاسلامي . وهو فارس الرقة المشهور الذي يتألف من شكل من الخزف المطلي . ويزعم بعض تجار العاديات الذين ملكوه أنه وجد في الرقة مع شكلين خزفيين آخرين . أحدهما يمثل ديكاً ، والثاني حصانا بوجه آدمي (البراق ؟) ، وذلك خلال حفريات السيد دولوريه في الرقة ، وأنه سرق من هذه الحفريات مع الشكلين الآخرين ، وبيع في حلب ، فاشتروه . وقد نقلوه إلى باريس قبل الحرب العالمية الثانية ، طمعاً ببيعه بسعر عال . وهناك أصلحوه إصلاحاً علمياً وعرضوه على البارون موريس دوروتشيلد ، فعزم على شرائه . وحدثت الحرب ، وبقي وديعة في أحد البنوك . ولما عاد السلم ، واضطرب الوضع المالي في فرانسا ، أعادوه الى سورية .

(١) كان من حصة بعثة بيل الاميركية ، وقد نقلته إلى متحفها .
(٢) معروض في قاعة السويداء من متحف دمشق .

ودارت مخابرات طويلة بين مديرية الآثار العامـة وبينهم وانتهت أخيراً بشرائه وادخاله متحف دمشق[١] .

ويبلغ ارتفاعه (٤٦،٥ سم) . وهو يمثل محارباً اسلامياً له لحية مثلثة ، وضفيرة طويلة تنحدر على ظهره . وعلى رأسه خوذة مخروطيـة ذات رأس مدبب . وهو متسربل بدرع طويل . وفي يده اليمنى سيف مسلول ، طويل ذو نصلة عريضة ، وفي يسراه مجنة مستديرة على صفحتها الخارجية زخارف متموجة حول وردة وسطى . أما الجواد فهو صغير الرأس ، وضخم الجسم والقوائم ، وأذناه صغيرتان ومنتصبتان . وله لجام غليظ يتألف من ثلاثة حبال تحيط برأسه . وسرجه متصل بحبل يمر حول عنقه ، وآخر يحيط بمؤخرته . والفارس يتهيأ وهو على هذا الوضع لضرب ثعبان ضخم يلتف على قائمة الجواد الأمامية اليمنى ، ثم على القائمة اليسرى ، ويقرب فاهه المفتوح من الترس . وللشكل الخزفي بين قوائم الجواد قبضة مستطيلة مخددة جعلت ليمسك منها .

وهذا الشكل مصنوع ضمن قالب . وتعلوه طبقة زجاجيـة رقيقة ، ووجه الفارس ورأس الحصان وجسمه ملونة باللون الأبيض ، والسيف ولحية الفارس ووشاحه ولجام الجواد وحوافره والحبال التي يتعلق بها السرج مصبوغة باللون الأزرق ، والمجنة والدرع وقدما الفارس والثعبان مدهونة باللون البنفسجي ، وخوذة الفارس وداخل اذني الجواد وعيناه مطلية باللون الأخضر . ويلاحظ أن في هيئة الفارس وفي ثيابه تأثيرات فارسية أو تركمانية كأنه احد المحاربين المسلمين الذين كانوا يأتون لانجاد عرب سورية اثناء كفاحهم ضد الصليبيين خلال القرن الثاني عشر .

وقد أصلح كما ذكرنا في باريس . وكان مكسوراً حذاء منابت ثلاثة من قوائم الجواد ، وفي مؤخرته . وكذلك كان في رأس الفارس ، وسيفه وترسه ، بعض الصدوع . وكانت تنقصه قطع في عنق الجواد وما بين قائمتيه الخلفيتين ، فأكملت بقطع جديدة . ومهما يكن فانه من أعظم الآثار الاسلامية التي وصلت إلى عصرنا . ويعد من أشهر محتويات متحف دمشق وسوف يعرض قريباً في الجناح الاسلامي منه .

(بقية البحث تأتي في العدد القادم)

س . ع

(١) صورة هذا الأثر في القسم الغربي من المجلة .